﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء: 84]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ إذاعةَ المنافقينَ لأخبارِ الأمنِ والخَوْفِ، وكان القَصْدُ من ذلك تثبيطَ المؤمنين عنِ القتالِ، أمرَ في هذه الآيةِ نبيَّه ﷺ بالقتالِ، وأمرَه بتحريضِ المؤمنين عليه، تحقيقًا لنصرِ اللّه تعالى، فيكون ما بين هذه الآيةِ والآياتِ التي قبلَها المتحدِّثةِ عن القتالِ بيانًا لخطرِ النِّفاقِ الذي يُهدِّد انتصارَ المؤمنين على أعدائِهم، فإذا كان أعداءُ الأمَّةِ في الخارجِ يُواجَهون بالقتالِ، فإنَّ أعداءَ الأمَّة في الدَّاخلِ يُواجَهون بالصَّبرِ عليهم، واليَقَظةِ لأفعالِهم وأقوالِهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَبِيلِ﴾: السَّبيلُ: الطَّريقُ وما وَضَحَ مِنهُ، يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، والتَّأنيثُ أغلَبُ. وسَبيلُ اللّهِ: طَريقُ الهُدى الذي دَعا إليهِ. وأصلُ الكَلِمَةِ يَدُلُّ على امتدادِ شَيءٍ. ومنه الطَّريقُ؛ سُمِّيَ سَبيلًا؛ لامتدادِهِ. ومِن مَعانيهِ: السَّبَبُ والوَصلَةُ. وجمعُه: سُبُلٌ[1].

2) ﴿تُكَلَّفُ﴾: التَّكليفُ: مَصدَرُ: كَلَّفَهُ تَكْليفًا؛ أي: أَمَرَهُ بِمَا يَشُقُّ عَلَيهِ، وَتَكَلَّفتُ الشَّيءَ: تَجَشَّمتُهُ، والكُلفَةُ: مَا تَتَكَلَّفُهُ مِنْ نَائِبَةٍ أَو حَقٍّ[2].

3) ﴿وَحَرِّضِ﴾: التَّحْريضُ: التَّحضيضُ والحَثُّ على الشَّيءِ والإحْماءُ عليه، يُقالُ: حَرَّضَهُ على الشَّيءِ، يُحَرِّضُهُ، تَحْريضًا؛ أي: حَثَّهُ وحَضَّهُ عليه، وأَمَرَهُ بِهِ، ويكون في الخَيرِ والشَّرِّ، ومنه: الحَثُّ على القِتالِ وغيرِهِ. والحارِضُ: الّذي قد قارَبَ الهَلاكَ، ومنه: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: 85]. والمُحارَضَةُ: المُداوَمَةُ على العَمَلِ، يُقال: حارَضَ فُلانٌ على العَمَلِ: إذا داوَمَ عليه[3].

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (كلف).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حرض).

4) ﴿يَكُفَّ﴾: الكَفُّ: التَّركُ والمَنعُ، يُقال: كَفَّ الرَّجُلُ عن الأَمرِ، يَكُفُّ كَفًّا؛ أي: انصَرَفَ وامتَنَعَ، وكَفَّ عن الشَّيءِ كَفًّا: إذا تَرَكَه. والكَفُّ أيضًا: اليَدُ، سُمِّيَت بذلك؛ لأنَّها تَكُفُّ صاحِبَها، أو لأنَّها تَقبِضُ الشَّيءَ[1].

5) ﴿بَأْسَ﴾: البَأْسُ: الشِّدَّةُ وما ضَارَعَهَا، والبَأسُ: العَذابُ الشَّدِيدُ. وهو الشِّدَّةُ في الحَربِ، ومِنْه الحَدِيث: "كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ البَأْس اتَّقينا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ" يريدُ الخَوفَ. وَلَا يكونُ إلاّ مَعَ الشِّدَّة، وقَالَ ابنُ سِيدَه: البَأْسُ: الحَربُ، ثمَّ كَثُرَ حَتَّى قيل: لَا بَأْسَ عَلَيك؛ أَي: لَا خَوْفَ[2].

6) ﴿أَشَدُّ بَأْسًا﴾: الشِّدَّةُ: الصَّلابَةُ، يُقال: حَجَرٌ شَدِيدٌ؛ أي: صُلبٌ. وتأْتي بمعنى الإحكام. وكُلُّ شَيءٍ أُحكِمَ فقد شُدّ. والشِّدَّةُ أيضًا: الإسْراعُ، فيُقالُ: شَدَّ في العَدوِ واشتَدّ شَدًّا: إذا أَسرَعَ. وأَصلُها: القُوَّةُ في الشَّيءِ، يُقالُ: شَدَدْتُ العَقدَ شَدًّا؛ أي: قَوّيتُهُ. والشَّدُّ: الرّبطُ والعَقدُ. ومِن معاني الشِّدَّة: الارْتِفاع والصُّعُوبَةُ والعُسرُ والجَلادَةُ والثّباتُ والنّجدَةُ[3].

7) ﴿تَنكِيلًا﴾: النِّكْلُ: القَيْدُ، وجَمعُهُ أَنْكَالٌ، لأَنَّهُ يَنْكُلُ؛ أَي يَمْنَعُ. والنِّكْلُ: حَدِيدَةُ اللِّجَامِ. وَنَكَّلْتُ بِهِ تَنْكِيلًا، وَنَكَّلْتُ بِهِ نَكَالًا، مَعنَاهُ: أَنَّهُ فَعَلَ بِهِ مَا يَمنَعُهُ مِنَ المُعَاوَدَةِ، ويَمنَعُ غَيرَهُ مِنْ إتيَانِ مِثلِ صَنِيعِهِ[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَمْرٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ بالقتالِ، وهو يَشمَلُ كُلَّ قَائدٍ، وكُلَّ قَادِرٍ على القِتالِ مِنَ المؤمنين المُخلِصينَ عِندَ إعلانِ النَّفير، أَنْ يَندَفِعَ ولَو مُنفرِدًا إلى الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ، فإنَّه غَيرُ مُسؤولٍ في الجهاد إلَّا عَن نَفسِهِ، وعَن حَضِّ المُؤمنينَ عَليه، غَير مُلتَفِتٍ إلى هؤُلاء المُثبِّطِينَ الَّذين يُظهِرونَ الطّاعةَ، ويُضمِرونَ العِصيَانَ، ولا إلى من يُذيعُونَ الأَخبَارَ قَبلَ التَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّتِهَا، أَو يُصدِّقُونَها، فيَتقاعَدُون بِسَبَبِهَا عَنِ القِتَال[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (كفف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النهاية، والزبيدي، تاج العروس: (بأس).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (شدد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (نكل).
(5) مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط: 2/865.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

براعة الفاءِ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في وَصْلِ المعاني:

اختُلف في توجيه الفاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، على قولين:

قتالُ أعداءِ الخارجِ يكون بعد مواجهةِ أعداءِ الدَّاخلِ

الأوَّل: الفاءُ واقعةٌ في جوابِ شَرطٍ مَحْذوفٌ يَنسَاقُ إليه النَّظمُ الكَريم؛ أي: إذا كانَ الأمرُ كما حُكِي مِنْ عَدمِ طَاعَةِ المُنافقينَ وكَيدِهم، وتَقصيرِ الآخَرينَ في مُراعَاةِ أحكَامِ الإسلام، فَقَاتِلْ أنتَ وَحدَكَ غَيرَ مُكترِثٍ بما فعلوا[1]، وهي الفصيحةُ، أَي: إذَا كانَ كما عَلِمتَ فقاتِل في سَبيلِ اللهِ، وهذا عَودٌ إلى مَا مَضَى مِنَ التَّحريضِ على الجِهادِ، وما بَينَهُمَا اعتِرَاضٌ[2].

الثَّاني: أن تكون الفاءُ جوابًا لقوله ﷻ: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤﴾ [النساء: 74]، أي: فقاتل في سبيلِ اللهِ كي نؤتيكَ أجرًا عظيمًا، ويَجوزُ أن يَكونَ الأمرُ بالقتالِ مُتَّصلًا بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 75]، أي: أيُّ شيءٍ لَكُم في تَركِ القِتَال؟ فأَمرَهُ اللهُ بالقِتال - ولَو قاتلَ وحدَهُ - ؛ لأنَّه قَد ضَمِنَ لَهُ النَّصرَ[3].

والمعنيانِ اللَّذان اكتنزهما هذا الحرفُ صحيحان، وهو ما يُؤكِّدُ ارتباطَ الآيةِ بسابقِ الكلامِ، فالمعنى هو الأمر بالقتالِ بعد الإغراءِ بالأجرِ العظيم، والصَّبرِ على تثبيطِ المنافقين.

البَدْءُ بالأمرِ بالقتالِ لإسقاطِ المنافقين من الاعتبارِ

وفائدةُ البَدْءِ بالأمرِ بالقتالِ مباشرةً وحذفِ فعلِ الشَّرطِ إسقاطُ المنافقين من الاعتبارِ، فلا وزنَ لهُم في نُصرةِ المؤمنين حتّى يكونَ لهم ذِكرٌ، مع ما فيه من الإيجازِ لتتّجه العنايةُ إلى الجوابِ.

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/209، والآلوسي، روح المعاني: 3/93، والقاسمي، محاسن التأويل: 3/238.

(2) الراغب، تفسير الراغب: 3/1357، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/731، والآلوسي، روح المعاني: 3/93، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/142، طنطاوي، التفسير الوسيط: 3/239.

(3) الزجاج، معاني القرآن: 2/84.

خصوصُ الخطابِ وإرادةُ العمومِ في قولِه تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

متابعةُ النَّبيِّ في القتالِ من أعظمِ سُننِ الإسلامِ

الأمرُ خِطابٌ للنَّبيِّ ﷺ والمُرادُ هو وأمّته، وهو مِثالُ ما يُقالُ لكُلِّ واحدٍ في خَاصَّةِ نَفسِه؛ أَي: أَنتَ يا محمَّدُ وكُلُّ واحدٍ مِنْ أُمَّتِكَ، قُل لَهُ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ ولهذَا يَنبَغي لكُلِّ مُؤمنٍ أَن يَستَشعِرَ، أَن يُجاهِدَ ولو وَحدَهُ، ومِن ذلكَ قَولُ النَّبيِّ ﷺ: "لَأُقَاتِلَنَّهُمْ حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتَيَّ"[1]، وقَولُ أَبي بَكرٍ وَقتَ الرِّدَّةِ: ولَو خَالَفَتنِي يَمِينِي لَجَاهَدتُهَا بِشِمَالِي[2].

بلاغةُ جملةِ القَصْرِ في قَولِهِ تَعالَى ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾:

لـلـقُـدوةِ دورٌ كبيرٌ فـي إعلاءِ الهِمَمِ وإصلاحِ المسلمين

جاءت جملةُ القصرِ ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ مُقرّرةً مضمونَ ما قبلَها؛ فإنَّ اختصاصَ تكليفه ﷺ بفعلِ نفسِه من موجباتِ مُباشرته ﷺ للقتالِ وحدَه، وفيه دلالةٌ على أنَّ ما فعَله المنافقون من التّثبيطِ والتّقاعدِ لا يضرُّهُ، ولا يؤاخذ به، فمَعنَى قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾: أَي: لَا تُكَلَّفُ في القِتَالِ إِلَّا نَفسَكَ، فَقَاتِلْ ولو وَحدَكَ. وقِيلَ: المَعنَى إِلَّا طَاقَتَكَ ووُسْعَكَ[3]، وفي هذه الجملةِ بناءُ أُسُس القدوةِ القائمةِ على الإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ، وهي أقوى أثرًا من التَّكليفِ العسكريِّ القائمِ على الإلزامِ المادِّيِّ؛ وآثارُه الحميدةُ قائمةٌ في الأمَّة إلى يومنا هذا.

سرُّ استعمالِ لفظِ التَّحريضِ في قولِه تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾:

القيامُ بفريضةِ القتالِ أصلٌ في الدَّعوةِ إليها

استُعملَ لفظُ التَّحريضِ، وهو: الحثُّ على الشَّيءِ بِكَثرةِ التَّزيين وتَسهيلِ الخَطْب فيه، كأنَّه في الأَصلِ إزالَةُ الحَرَضِ، نحو: مرّضتَه وقذّيتَه؛ أي: أزلتَ عنه المرضَ والقذَى؛ لما فيه من قوَّةِ تحبيبِ المؤمنين وإقناعِهم بالقتالِ، فعليك أيُّها المخاطَبُ أن تنفُضَ عن

(1) البخاري، الحديث رقم: (2731)، و(2732).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/86، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/731.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 3/731.

أتباعِك الموانِعَ وتزيلَ العَوائق الَّتي تمنعُهُم أن يُقاتِلُوا[1]، وتَحريضُ المؤمنين خاصَّةً على القِتَالِ مِنَ التَّبليغِ النَّبويِّ الَّذي مِنهُ الأَمرُ والنَّهي، هو استِدعَاءٌ سماويٌّ للمُؤمنين الَّذين صَدَقُوا إيمانَهم أن يكونوا مع النَّبيِّ ﷺ وأن يَأخذُوا طَريقَهُ الَّذي أخذه، وفي هذا مَا فيه مِنْ تَكريمٍ لَهُم، ورَفعٍ لِقَدرِهِم[2].

توجيهُ المتشابِه اللَّفظيِّ:

بناءُ الأسوةِ في القتالِ يُغني عن ذكرِه

حُذِفَ في هذه الآيةِ المُحَرَّضُ عليه وهو القِتَال، وعِلَّة ذلك أنَّه مَعلُوم من ظَاهِرِ سياق الآية الكريمة، فلمَّا بدأتِ الآيةُ بالأمرِ به، أغنى ذلك عن إعادتِه، ولما فيه من اشتمالِ التَّحريضِ على القتالِ ومقدِّماته، بخلافِ قولِه تعالى في سورةِ الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65]، فالأمرُ فيه مختلفٌ، إذ جاءَ الأمرُ بتحريضِ المؤمنين في الأنفالِ ابتداءً، لا معطوفًا على أمرِه ﷺ بالقتالِ، أي: حثِّهم على القتال ورَغِّبهم فيه؛ لأنَّهم آثِمُون بالتَّخلّفِ عنه لفَرضِه عَليهم قبل هذا بسنين، ولا تَعنِّف بِهم[3]؛ ففي الحذفِ إيجازٌ لما استقرَّ عليه الأمرُ من أنّ التّحريضَ ينصرفُ للقتالِ؛ ولأنَّ السّياقَ جارٍ له معتمدٌ عليه.

فائدةُ التَّعبير بـ﴿عَسَى﴾ في قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾:

على المسلمِ الإعدادُ والتَّوكلُ على اللهِ في كلِّ الأمور

﴿عَسَى﴾ منه تعالى واجبَةٌ، ومِنَ البَشَرِ مُتَوقّعةٌ مَرجُوَّةٌ ففَضلُ اللّه تعالى يُوجِبُها، فهي هنا مجازٌ استُعملَ ما هو مرجوٌّ متوقَّعٌ فيما هو واجبٌ، والمعنى: قاتلُوا راجينَ النَّصرَ من اللّهِ وكفِّ أذى الكافرين، وكونوا على يقين من نصرِ اللّه لكم، وفي هذا وَعدٌ للمُؤمنينَ بغَلبَتِهم على الكَفَرَةِ، وهي هنا تدلُّ على الإعدادِ والتَّهيئةِ والخَبَرِ والوَعدِ،

(1) الراغب، المفردات: (حرض)، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2486.
(2) رضا، المنار: 5/247، والخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 3/848.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/210، والآلوسي، روح المعاني: 3/93.

وخَبَرُهُ تعالى حَقٌّ؛ لأنَّه لا يُخلِفُ الميعادَ، والكريمُ إذا أطمَعَ أنجزَ، وإذا رُجِي حقَّق.

وفائدةُ التَّعبيرِ بعسى تعليمُ المُؤمنينَ الأَدَبَ في القَولِ حتَّى لا يَجزمُوا بأَمرٍ يتعلَّقُ بالمُستقبلِ، بل يُسَدِّدون ويُقاربُون ويُباشرون الأَسبابَ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يَتركونَ النَّتائج للّه تعالى[1].

معرفةُ النَّاصرِ تُورِّثُ الطَّمأنينة

وأسندَ فعلَ الكفِّ إلى الضَّميرِ العائدِ على الذّاتِ العليّة لتربيةِ المهابةِ، وتوريثِ الطَّمأنينةِ، بأنَّ الذي سيكفُّ بأسَ الذين كفروا هو اللّه تعالى.

سرُّ التَّعبير بالكفِّ دونَ النَّصرِ:

كـفُّ البـأسِ طريـقُ النَّـصرِ والـدَّعـوةِ بـمـفـهـومِـهـا الواسِعِ

وفي التّعبيرِ بكفِّ بأسِ الذين كفروا دون التَّعبيرِ بالنّصرِ عليهم، مع أنَّ النَّصرَ أوضحُ دلالةً وأغرى بالمُخاطَبين، لربطِ المؤمنين بأدوات النَّصرِ، وكيفيَّة تحصيله، فإنَّ كفَّ بأسِ الكافرين هو مقدِّمةٌ للنَّصرِ العظيمِ، ومعرفةُ المؤمنين بطرقِ كفِّ بأسِ الكافرين مِهادٌ للنَّصرِ وغيرِه من أشكالِ الدَّعوةِ بمفهومِها الواسعِ.

فائدةُ إضافةِ البأسِ للاسمِ الموصولِ:

بيانُ شدَّةِ بأسِ الكافرين تمهيدٌ لبيانِ هوانِها

وفي التّعبيرِ بالبأسِ بيانٌ عن شدّةِ الحربِ، وإضافتُه للاسم الموصول بدلَ الاسمِ الصّريحِ فلم يقل: (بأس الكافرين) تأكيدٌ لشدّته؛ لكونه اقتضَى جملةَ صلةٍ بالفعل الماضي لبيانِ استقرار الكفر في قلُوبهم، وللإلماعِ إلى قساوةِ قلُوبِهم وفجاجةِ بأسهم.

تقديمُ البأسِ على النِّكالِ باعتبارِه مقدِّمةً له:

تقديمُ البَأْسِ على النِّكالِ مِنْ تَقديمِ السَّببِ على المُسَبَّبِ؛ لأنَّه إذا حَصَلَ البَأْسُ حَصَلَ النَّكال[2].

(1) النسفي، التيسير في التفسير: 5/131، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/86، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/158، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/210، والقاسمي، محاسن التأويل: 3/239، ورضا، تفسير المنار: 5/247، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/142 - 143، وطنطاوي، الوسيط: 3/241.

(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/42.

بلاغةُ التّذييلِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾:

الجُملةُ اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّرٌ لِمَا قبلَها، وهي جُملةٌ خَبَرِيَّةٌ، مُرَادٌ بِها التَّقريعُ والتَّهديدُ.

إظهارُ الاسمِ الجليلِ لربطِ القلوبِ وتهيئةِ النّفوس

وجِيءَ باسم الجَلَالة ﴿وَٱللَّهُ﴾ مُظْهَرًا بدَل ضَميره؛ ليفيدَ زِيادَة التَّمكين لمعنى البَأْس والتَّنكيل في نُفوس السَّامِعينَ، ولِتَربيةِ المَهَابةِ، وتَعليلِ الحُكم، وتَقويَةِ استِقلَالِ الجُملَةِ[1]، فإنَّ ذكرَه أقوى في نفوسِ المخاطَبين، وأشدُّ ربطًا لقلوبِهم.

معنى لفظِ ﴿أَشَدُّ﴾ في الآية وبلاغتُه:

واسمُ التَّفضيل ﴿أَشَدُّ﴾ ليسَ على بَابِه في الآية؛ لأنَّ بأسَ المُشركينَ لا قيمَةَ له بجَانب بَأْسِ الله تعالى وقُوَّتِه ونَفَاذِ أَمرِه. وعَذابُهم لغَيرِهم مِنَ الضُّعَفَاءِ لا وَزنَ لَهُ بجَانب عَذَابِ الله تعالى للظَّالمينَ؛ لأنَّ عذابَهم لغَيرِهم يُمكن التَّخلُّص منه، أمَّا عَذَابُه ﷻ فلا يُمكن التَّخلُّصُ منه، والمقصُودُ مِنْ هذا التَّذييل تَهديدُ الكافرينَ بِسُوءِ المَصير وتَشجيع المؤمنين على قِتالهم، وبِشارتهم النَّصر عليهم[2].

تَكرارُ ذكرِ شدَّةِ التَّنكيل بعد ذكرِ شدَّةِ البأسِ:

وتَكريرُ الخَبَر ﴿أَشَدُّ﴾؛ لِتَأكيدِ التَّشديد[3]، ولبيانِ استقلالِ شدَّةِ بأسِ الله عن شدّةِ تنكيلِه، فلو قال: (والله أشدُّ بأسًا وتنكيلًا) لم تكن في قوَّة ما جاءت عليه الآية، وفيها زيادةُ تثبيتٍ للمؤمنين وطَمأنةٌ لهم.

تنكيلُ اللهِ بالكافرينَ محاطٌ بإذلالِهم وتحقيرِهم

سرُّ استعمالِ لفظِ التَّنكيلِ:

وفي ذكر التّنكيلِ بيانٌ عن غلبةِ المؤمنين للكافرين على وجه الإذلالِ؛ فالنِّكْلُ في أصلِه هو قَيدُ الدَّابةِ وحَديدةُ اللِّجَامِ؛ فلُحِظَ فيه

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/86.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/143، والقاسمي، محاسن التأويل: 3/239، وطنطاوي، الوسيط: 3/241.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/143.

عَجزُ المَنكُولِ وهَوانُهُ، فاستُعملَ في مُطلَقِ الإذلَالِ، مُنتقلًا إليه مِنْ مَعنَاهُ الأوَّلِ وهو القَيدُ والغُلُّ، ثُمَّ استُعملَ في كلِّ تَعذِيبٍ بَلَغَ الغَايةَ في الشِّدَّةِ والأَلَم، مع لحظ المعنى الذي أُخِذَ منه، ودلالته ضَربُ الظَّالم بِقُوَّةٍ حتَّى يكونَ عِبرةً لِمِثلِهِ فيَنكُلَ عَنِ الظُّلم، والمقصُود مِن اللَّفظِ في الآية تهديدُ الكافرين وتشجِيعُ المؤمنين[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجِهَاد والقِتَال:

الجَهْدُ والجُهْدُ: الطَّاقة والمشقَّة. فالجهادُ: يَشملُ قِتالَ الأَعدَاءِ، ويَشمِلُ: جِهادَ النَّفْسِ، والشَّيطَان، وجِهادَ المُنافقين. والجِهَادُ: يكونُ بالقُوَّةِ، والحَربِ، والمالِ، والنَّفْسِ، واللِّسانِ، والبَيانِ، والحُجَّةِ، والقَلبِ، وتَحمُّلِ الأَذَى، والصَّبرِ. فالجهادُ: أَوسَعُ مِنَ القِتَالِ.

والقِتَالُ: استعمالُ القُوَّةِ المادّيّة، ويَعني: قِتالَ الكفَّارِ والمشركينَ، والجِهادُ بكلِّ أنواعه في سَبيلِ اللّه، ومِنه جِهَادٌ في اللّه وفيما أَمَرَ أو قَدَّرَ، وأَعظمُ الجِهادِ جِهادُ النَّفسِ وطاعةُ اللّه. وهو أيضًا الدِّفاع عَنِ الدِّينِ، والمالِ، والعِرْضِ، والنَّفسِ أمامَ أيِّ عَدُوٍّ كانَ[2].

الطَّريق والصِّراط والسَّبيل:

قال ابن الكمال: "إنَّها مُتساوية في التَّذكير والتَّأنيث، أمَّا في المعنى فبَينَها فَرقٌ لَطيف، وهو أنَّ الطَّريق كلُّ ما يَطرقُهُ طارقٌ مُعتادًا كانَ أو غَير مُعتادٍ. والسَّبيلُ مِنَ الطُّرُقِ ما هو مُعتاد السُّلوك. والصِّراطُ مِنَ السَّبيل مَا لا التِواء فيه؛ أي: لا اعوجَاجَ، بل يكون على سَبيلِ القَصدِ فهو أَخَصُّ"[3].

(1) طنطاوي، الوسيط: 3/241، وبنت الشاطئ، التفسير البياني: 1/148، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2490.
(2) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع، تفسير آية 39 من سورة الحج.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 5/13.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»